# التغير الاجتماعي من منظور ابن خلدون
# الثورة أنموذج للتغيير([1])

**مدخل :**

يوجد نوعان من المجتمعات: مجتمعات ستاتيكية (مجتمع النحل, مجتمع النمل, بعض الجماعات البدائية) و مجتمعات ديناميكية: و هي التي تخضع لعمليات تحول من حالة إلى أخرى سواء بالسلب أو بالإيجاب.

و هناك مجتمعات تخضع لتغير بنيوي تدريجي بطيء الحدوث, كما هناك مجتمعات تخضع لتغير عنيف مفاجئ من القمة كحدوث ثورة مفاجئة أو انقلاب عسكري يغير نظام الحكم و بالتالي يتغير المجتمع أفقيا و عموديا.

ما يهمنا فيما نحن بصدده هو كيف رصدت النظريات السوسيولوجية التغير الاجتماعي مقارنة بما أقره ابن خلدون. فمفهوم الثورة(نموذج التغير الاجتماعي عند ابن خلدون) يتحدد كمؤسسة للتغير و يمكن معرفة الأبعاد التغيرية لها, و كيف تتزاوج هذه الثورة مع( الدين) إذ يلزم أيضا- بعد تحديد مفهوم الثورة- تحديد مفهوم الدين و كيفية حدوث ذلك التركيب الحيوي بين الظاهرتين حيث تنشأ حركة التغير بشكل تلقائي و عملي مباشر إذ تلعب الفتوى دور الخطاب (زرع بذور الثورة) المجدد لوقود هذه الثورة بناءا على فعاليتها الروحية(حسب ابن خلدون).

## 1/طرح الإشكال :

إذا كان التغير الاجتماعي بصفته التدريجية أو العنيفة "الثورات" قد شغل النظريات الكبرى' حيث حاولت هذه الأخيرة تفسيره أي كيفية انتقال المجتمع من الحالة الستاتيكية إلى الحالة الديناميكية فان (دوركايم) يفسر هذا التغير بكيفية المرور من المجتمع الآلي إلى المجتمع العضوي.

---

1 بن حليمة صحراوي أستاذ مكلف بالدروس بكلية العلوم الاجتماعية
قسم علم الاجتماع -جامعة عبد الحميد ابن باديس- مستغانم-

Email: benhalima_sahraoui@yahoo.fr

كما أن الوظيفية تنفي تغير المجتمع من الداخل بل ترى إن التغير يكون من الخارج أي خارج الجسم الاجتماعي و كأنها تبرر فكرة الاستعمار' أما وضعية (اوغست كونت) فهي تؤمن بالتغير أو انتقال المجتمع من الأسوأ إلى الأحسن- خطيا-, حيث يمر المجتمع من الحالة اللاهوتية إلى الحالة الميتافيزيقية حتى بلوغ الوضعية العلمية أي تفسير الظواهر الاجتماعية علميا, أما البنيوية فهي تؤول نحو التغير التدريجي حسب ما تمليه قوانين البنية " ذلك أن البنيوية تتميز كليا عن الماركسية ففي حين تؤكد الأولى على خلود البنى و ثباتها و أسبقيتها على أي تفسير آخر, تؤكد الثانية على التطور و التغير "[1]

و الماركسية من جهتها ترى أن التغير الاجتماعي يكون بالصراع العنيف بين الطبقات (الطبقة البلوروتارية ضد البرجوازية)، هذه النظريات خاصة بمجتمعات عاشت أزمات أفرزتها ميكانيزمات خاصة بها في إطار الحراك الاجتماعي من ثورات "اجتماعية, اقتصادية و صناعية"، خلاصة ذلك أن هذه الأفكار أنتجتها أزمات معينة, أزمات نابعة من خصوصية هذه المجتمعات.

أما ابن خلدون فانصب فكره على كيفية انتقال المجتمعات الإسلامية (المغاربية خاصة التي عاصرها ابن خلدون) من مرحلة البداوة إلى مرحلة الحضارة ( أي المرور من المجتمع البدوي إلى المجتمع الحضري)حيث يرتبط هذا الانتقال عضويا و وظيفيا بظاهرة الدولة, وكيف يعاد هذا التغير كل مائة و عشرين سنة (120)-دائريا-،إن ما يهمنا في فكرة ابن خلدون هو إشكالية الثورة أو التغير العنيف و في هذا الإطار يرى عبد القادر جغلول في كتابه (الإشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون ص 217) أن "كل التجارب الكبرى للتنظيم الحكومي التي جرت في المغرب العربي الأوسط, جرت باسم حركة التجديد الديني: إمامة "تيهرت" و الخوارج, إمبراطورية الفاطميين و الشيعة, و إمبراطورية المرابطين و المالكية, الإمبراطورية الموحدية و التومرية. فالإيديولوجية الدينية تفسر وتدعم الاتجاهات الاتحادية التي توجد في المغرب العربي. ففيها تتكثف تطلعات إلى حياة سياسية قبلية أعلى "[2]

[1] عمر مهيبل , البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر, ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر-1991 ص 179

[2] عبد القادر جغلول, الإشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون, دار الحداثة ط 4 -بيروت- 1987 ص 217

## 2/تحليل الإشكال:

التغير يمر عن طريق الثورة(نموذج ابن خلدون) بغية اختزال الزمن و التغيير الجذري أو بعبارة أخرى كيفية تزاوج الدين بالسياسة لإحداث تغير في النسق الاجتماعي. فالثورة من منظور سوسيولوجي تعني التغير الجوهري المفاجئ في الأوضاع السياسية و الاجتماعية للدولة, و بوسائل تخرج على النظام المألوف, لا تخلو عادة من العنف, و إن قيل بوجود ثورات بيضاء, و تختلف الثورات عن الانقلاب الذي يرمي إلى مجرد قلب نظام الحكم و إحلال سلطة محل أخرى. و الثورة الحقيقية هي التي تنبعث من الشعب, و تعبر عن ميوله و رغباته و أن دبرها و قادها أشخاص معينون.[3]

من هذه الزاوية نحاول معرفة كيف فسر ابن خلدون مفهوم الثورة من خلال مقدمته الشهيرة، و كيف فسر حق الثورة على الحاكم المستبد، و الدوافع إلى الثورة، و مبررات القيام بالثورة [4] حيث يتناول ابن خلدون هذه الفكرة في الفصل السادس من الباب الثالث المعنون بـــ **(في أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم).**

**"و من هذا الباب أحوال الثوار القائمين بتغيير المنكر من العامة و الفقهاء. فان كثيرا من المنتحلين للعبادة و سلوك طرق الدين يذهبون إلى القيام على أهل الجور. من الأمراء داعين إلى تغيير المنكر و النهي عنه, و الأمر بالمعروف رجاء في ثواب عليه من الله فيكثر أتباعهم و المتشبثون بهم من الغوغاء و الدهماء, و يعرضون أنفسهم في ذلك للمهالك, و أكثرهم يهلكون في تلك السبيل مأزورين غير مأجورين، لأن الله سبحانه لم يكتب ذلك عليهم، و إنما أمر به حيث تكون القدرة عليه، قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه. "و أحوال الملوك و الدول راسخة قوية لا يزحزحها و يهدم بنائها إلا المطالبة القوية التي من ورائها عصبية القبائل و العشائر كما قدمناه.**

---

[3] محمد السويدي, علم الاجتماع السياسي ميدانه و قضاياه, ديوان المطبوعات الجامعية-الجزائر- 1990 ص 169.

[4] ملحم قربان، خلدونيات , قوانين خلدونية, دراسات منهجية ناقدة في الاجتماع السياسي , المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت الطبعة الأولى 1984 ص 391.

**و هكذا كان حال الأنبياء – عليهم السلام- في دعوتهم إلى الله بالعشائر و العصائب، وهم المؤيدون من الله بالكون كله لو شاء، لكنه إنما أجرى الأمور على مستقر العادة و الله حكيم عليم.**

**فإذا ذهب أحد من الناس هذا المذهب و كان فيه محقا قصر به الانفراد عن العصبية، فطاح في هوة الهلاك، وأما من كان من الملبسين بذلك في كلب الرئاسة فأجدر أن تعوقه العوائق و تنقطع به المهالك لأنه أمر الله لا يتم إلا برضاه و إعانته و الإخلاص له و النصيحة للمسلمين و لا يشك في ذلك مسلم و لا يرتاب فيه ذو بصيرة** [5]

نستنتج من خلال قراءة أولية لهذا النص أن الظلم بأنواعه أحد دوافع الثورة " الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر" كما أنه حتى في حالة عدم وجود الظلم يمكن أن تقوم ثورة و هذا راجع إلى قدرة المتحلين للعبادة و سلوك طرق الدين "الزعماء الروحيون" على تجنيد الغوغاء و الدهماء – العامة من الناس المشاغبين – ضد السلطة الحاكمة.

إذا كان ابن خلدون يؤمن أن للعمران قوانينه بقوله: "أن الماضي أشبه بالآتي من الماء بالماء" فهل الثورة عند ابن خلدون تدخل في نفس الإطار، أي للثورة قوانينها التي تحكمها؟ وكلما توفرت نفس الشروط لهذه الثورة تتكرر الظاهرة.

لتفسير هذا التساؤل بنفيه أو بإثباته لا بد من توضيح العلاقة بين الديني و السياسي و ارتباط ظاهرة الدين بالدولة و ظاهرة العنف بالسياسة(في الفكر الخلدوني).

فالعنف كأداة سياسة للوصول إلى السلطة هو نتيجة اتفاقات فاشلة بين السلطة و المعارضة كما يحلل *ذلك* **كلاستر**" العنف البدائي ليس سمة من سمات التوحش و لا يفسّر برده إلى خاصية الإنسان البيولوجية (العدوان) أو إلى التنافس الحيوي بين الجماعات أو إلى التبادل بل هو قبل كل شيء, أداة سياسية تحافظ من خلالها جماعة ما على هويتها و كينونتها السياسية".[6]

## 3/ مفهوم التغير الاجتماعي :

التغير ظاهرة موجودة في كل مستويات الوجود في المادة الحية, و كذلك الحياة الاجتماعية. إن أي نسق اجتماعي يحتوي على نوعين من العمليات, الأولى تعمل

---

[5] عبد الرحمن ابن خلدون – مقدمة ابن خلدون – طبعة جديدة منقحة – المكتبة العصرية – صيدا بيروت 2002 م ص 148

[6] مارسيل غوشيه و بيار كلاستر , أصل العنف و الدولة , تعريب و تقديم على حرب دار الحداثة-بيروت- ص – 31 –

على الحفاظ عليه و ضمان استمراره كالتنشئة الاجتماعية و الضبط الاجتماعي و نقل الإرث الثقافي من السلف إلى الخلف.و الثانية تعمل على تبديله و تغيره ابتداء بالتعديل و انتهاء بالثورة, و لذلك فان في دراسة المجتمع و الظواهر الاجتماعية, لا بد من النظر إلى وجهي الصورة, الثبات في الحركة و الحركة في الثبات. و هذا ما يعبر عنه عادة بان النسق الاجتماعي "متوازن و دينامكي" أو "نوع من وحدة و صراع المتضادات".

و تبدو فكرة التغير بسيطة و واضحة نظرا لشيوع استعمالها في الحياة اليومية, و لكن مع هذا فقد أثارت كثيرا من الجدل و المناقشات عند علماء الاجتماع. إ ن ظاهرة التغير الاجتماعي تعد ملازمة للمجتمع البشري، فالمجتمع دائما في تغير و تختلف درجة التغير من مجتمع لآخر، حيث أن بعض المجتمعات تتغير بسرعة، و الأخرى ببطء. وقد يظن الباحث أحيانا بأن هذه المجتمعات راكدة و الأخرى متحركة, إن ظاهرة التغير الاجتماعي ليست ظاهرة حديثة، فهناك درجات و أنواع من التغير حدثت في الخبرة الإنسانية, و لكن الاهتمام بالتغير و سرعته يرجع إلى السرعة التي حدثت فيها المجتمعات. [7]

و يمكن تعريف التغير الاجتماعي بأنه كل تحول يحدث في النظم و الأنساق و الأجهزة الاجتماعية من الناحية (المورفولوجية) أو (الفيزيولوجية) خلال فترة زمنية محددة, و يتميز التغير الاجتماعي بصفة الترابط و التداخل, فالتغير في الظاهرة الاجتماعية سيؤدي إلى سلسلة من التغيرات الفرعية التي تصيب الحياة بدرجات مختلفة.

إنّ هذا الاعتراف الصريح بواقع التغير الاجتماعي و ارتباطه ببقية التغيرات في الطبيعة إنما جاء تتويجا لجدل فلسفي حاد حول مسألتي الثبات و التغير, يعود تاريخه إلى فجر الفكر الفلسفي و لاسيما اليونان, و يعتبر ظهور الفكر الجدلي و المنهج الجدلي على يد الفيلسوف الألماني (هيجل) و إيقافه على قدميه من قبل (ماركس) و (انجلز) و تطبيقاته العملية فيما بعد على يد (لينين) . هو أعظم انتصارا لفلسفة التغيير على فلسفة الثبات حيث بدأت فلسفة الثبات تخلي مكانها بصورة شبه تامة لفلسفة التغير. [8]

---

[7] د.عادل مختار الهواري : التغيير الاجتماعي و التنمية في الوطن العربي – دار المعرفة الجامعية ع ش – سوتير , اسكندرية – 1993 ص 15.

[8] أنظر : Alain Biron – Vocabulaire des science sociales .éd.Paris 1966 P 171

## 4/ مفهوم الثورة :

إذا كانت الثورة تصبوا إلى التغير الجذري و تختزل عامل الزمن, أو كما يراها *مالك بن نبي "مؤسسة تغيير" حيث تغير الإنسان على المستوى النفسي يترك آثارا* سياسية و اجتماعية لهذه الثورة حيث نركز في بحثنا على ظاهرة العنف على المستوى الجماعي (علم نفس الجماعات) حيث تذوب ذاتية الفرد في الجماعة [9] و هذا لاستكناف و اكتشاف أعماق نفسية الأجيال عند ابن خلدون كما يطرحها في نظرية الدولة.

وهذا ما يحيلنا ذلك إلى طرح التساؤل التالي:

**هل هناك صفوة دينية مميزة**(المنتحلين للعبادة و سلوك طرق الدين) **تقود الثورة، بحيث تجند العامة**(أتباعهم و المتشبثون بهم من الغوغاء و الدهماء) **للانقلاب على القمة ؟**

لتفسير ذلك انظر المخطط التالي:

و هكذا يتواصل التاريخ من خلال الفعل الثوري

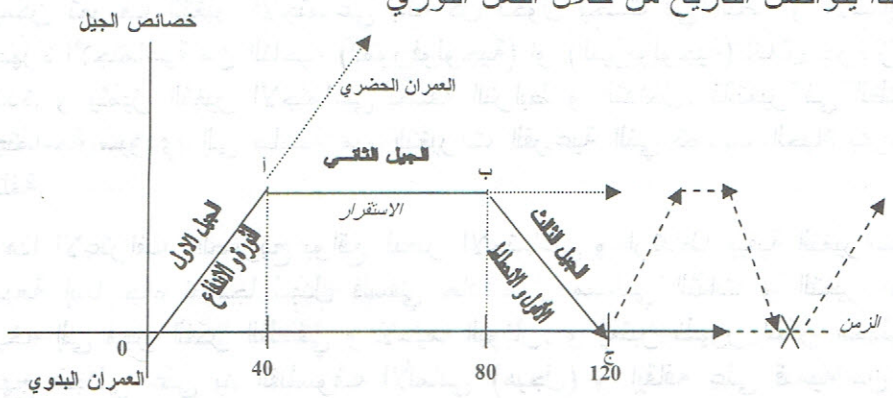


لقراءة هدا المخطط لابد من توضيح بعض النقاط في الفكر الخلدوني:
التغير الاجتماعي عند ابن خلدون هو الانتقال من **العمران البدوي** الذي يمتاز **بمعاش** (الاقتصاد) يعتمد على ضروريات العيش و التقشف ويختصر على الزراعة و تربية الماشية، و **ملك** (السياسة) هي نتيجة التزاوج بين العصبية(رابطة الدم و الانتماء إلى جد مشترك) و القبيلة( شيخ القبيلة تذوب فيه كل السلطات) ويمتاز بالشفوي و العرف، العنصر الأخير هو **الفنون** (الثقافة) و التي تنعدم في العمران البدوي وكأنها انعكاس للمعاش، إلى **العمران الحضري** الذي يمتاز معاشه بالتعقد و

[9] **غوستاف لوبون ، روح الاجتماع – موفم للنشر الجزائر – 1988 ص 25.**

توفر الخيرات وازدهار في الصناعة، أما **الملك** فيتعقد حيث تنظم الأمور عن طريق إدارة مركزية، كما تنظم الجماعة داخليا و خارجيا بوجود جيش وشرطة.أما **الفنون** فالمدينة هي مولد الثقافة.

نلاحظ أن التغير الاجتماعي عند ابن خلدون هو التغير الذي يمس العناصر الثلاثة(المعاش، الملك، والفنون) التي من خلالها نفرق بين العمران البدوي و العمران الحضري.كما ذكرنا في البداية أن الانتقال من مرحلة **البداوة** إلى مرحلة **الحضارة** ( أي المرور من المجتمع البدوي إلى المجتمع الحضري) يرتبط عضويا و وظيفيا بظاهرة الدولة, و يعاد هذا التغير كل مائة و عشرين سنة (120) لان ابن خلدون شبه الدولة بالكائن الحي (المخطط) عبر ثلاثة أجيال، يبلغ عمر كل جيل 40 سنة، و هناك خصائص ثلاث(الارتباط بالعصبية، الشجاعة، و الارتباط بالدين) تلازم الجيل و تتغير هي الأخرى حسب مرحلة الدولة حيث نستخلص أن الجيل الأول يمتاز بالخصائص الثلاث(مرحلة الاندفاع و الثورة)، أما الجيل الثاني فيفقد خاصية الارتباط بالعصبية ويحافظ على خاصيتين و بالتالي ينكسر المستقيم في النقطة(أ)(المخطط) و نمر من الجيل الأول إلى الجيل الثاني أو نمر من مرحلة الاندفاع و الثورة إلى مرحلة الاستقرار وحين يفقد الجيل خاصية ثانية التي تتمثل في الارتباط بالدين- و ذلك راجع للترف و التأنق الذي انغمس فيه الجيل- في النقطة (ب) تبقى نفسية الجيل مرهونة بآخر خاصية- الشجاعة- التي تفقدها هي الأخرى في الانحدار-مرحلة الأفول و الانحطاط- وينتهي الجيل الثالث في النقطة (ج) وتنتهي الدولة بفقدان الجيل لخصائصه الثلاث التي كانت سببا في دخول العمران البدوي إلى التاريخ(من لحظة ز=0 إلى ز=120سنة) و بالتالي فعمر الدولة هو عمر الأفكار التي أنتجت هذه الدولة وتستمر الدورة بالفعل الثوري بظهور مصلحين جدد و فتاوى تدعو إلى تغيير المنكر وتكون عصبية غالبة و أخرى مغلوبة.

يمثل الجيل الأول نفسية متميزة إذ تنصهر الفردية في الروح الجماعية- ميلاد جماعة بمفهوم **مالك بن نبي** وتحويل الطاقة الخام إلى طاقة نابضة بالحركة بمفهوم **اوستفالد**-, التي تنفي الذات و تذوب في الجماعة (مرحلة البداوة) حيث يكون الاندفاع و الثورة (مرحلة الروح) أما الجيل الثاني فهو المرحلة التي تجسد تحول ملكية الجماعة لجسد الفرد إلى ملكية الدولة لجسده، ويمثل مرحلة الاستقرار إذ هو الدخول في الحضارة بعد التأسيس و سيطرة العقل ( مرحلة العقل و الإنجاز الحضاري). بينما يعتبر الجيل الثالث جيل الأفول حيث تسيطر الغريزة (مرحلة الغريزة).

و نلاحظ من خلال المخطط أن الجيل الأول(بدوي) قابل للتجنيد و الثورة أما الجيل الثالث (جيل متسيس و لكن جبان وفي نفس الوقت خارج من دورة الحضارة)فهو غير قابل للتجنيد [10]

**المصادر و المراجع**


-د.عادل مختار الهواري : التغيير الاجتماعي و التنمية في الوطن العربي – دار المعرفة الجامعية ع ش– سوتير , إسكندرية – 1993.

- عبد الرحمن بن خلدون– مقدمة ابن خلدون – طبعة جديدة منقحة– المكتبة العصرية– صيدا بيروت 2002 م

-عبد القادر جغلول, الإشكاليات التاريخية في علم الاجتماع السياسي عند ابن خلدون , دار الحداثة ط 4 1987-بيروت- .

- عمر مهيبل , البنيوية في الفكر الفلسفي المعاصر , ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1991 .

- غوستاف لوبون ، روح الاجتماع – موفم للنشر الجزائر – 1988 .

- مارسيل غوشيه و بيار كلاستر , أصل العنف و الدولة , تعريب و تقديم على حرب دار الحداثة-بيروت- .

-محمد السويدي, علم الاجتماع السياسي ميدانه و قضاياه, ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- 1990 .

- ملحم قربان، خلدونيات , قوانين خلدونية, دراسات منهجية ناقدة في الاجتماع السياسي , المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع بيروت الطبعة الأولى 1984 .


**المراجع الأجنبية**


Alain Biron – Vocabulaire des science sociales .ed.Paris 1966.


التغير الاجتماعي من منظور ابن خلدون (الثورة أنموذج للتغير):


-الأستاذ: بن حليمة صحراوي

-أستاذ مكلف بالدروس -كلية العلوم الاجتماعية -

-قسم -علم الاجتماع-

-جامعة عبد الحميد ابن باديس-مستغانم-

benhalima_sahraoui@yahoo.frEmail:


[10] - لتعريف الأجيال الثلاثة عند ابن خلدون, انظر: محمد عابد الجابري فكر ابن خلدون العصبية و الدولة – مركز دراسات الوحدة العربية الطبعة 7 2001 بيروت ص 219.

**ملخص البحث**

التغير الاجتماعي عند ابن خلدون هو التغير الذي يمس العناصر الثلاثة(المعاش، الملك، والفنون) التي من خلالها نفرق بين العمران البدوي و العمران الحضري.فالانتقال من مرحلة **البداوة** إلى مرحلة **الحضارة** ( أي المرور من المجتمع البدوي إلى المجتمع الحضري) يرتبط عضويا و وظيفيا بظاهرة الدولة, و يعاد هذا التغير كل مائة و عشرين سنة (120) لان ابن خلدون شبه الدولة بالكائن الحي (المخطط) عبر ثلاثة أجيال، يبلغ عمر كل جيل 40 سنة، و هناك خصائص ثلاث(الارتباط بالعصبية، الشجاعة، و الارتباط بالدين) تلازم الجيل و تتغير هي الأخرى حسب مرحلة الدولة حيث نستخلص أن الجيل الأول (مرحلة الاندفاع و الثورة)، أما الجيل الثاني (مرحلة الاستقرار) ,اما الجيل الثالث (مرحلة الأفول و الانحطاط) فبإنتهائه تنتهي الدولة بفقدان الجيل لخصائصه الثلاث التي كانت سببا في دخول العمران البدوي إلى التاريخ(من لحظة ز=0 إلى ز=120سنة) و بالتالي فعمر الدولة هو عمر الأفكار التي أنتجت هذه الدولة وتستمر الدورة بالفعل الثوري بظهور مصلحين جدد و فتاوى تدعو إلى تغيير المنكر وتكون عصبية غالبة و أخرى مغلوبة.

**Résumé:**

Dans les PROLIGOMENES IBN KHALDOUNE fonde une loi sur le processus du changement social d'une société bédouine à une société citadine .ce changement se traduit par le passage d'un état statique à un état dynamique provoqué par la propagande religieuse appuyée d'une forte açabiyya comme source de puissance sociale dans ce sens ibn khaldoune dit : **"on peut ranger dans cette catégorie les tentatives de plusieurs individus ,appartenant les uns à la basse classe et les autres au corps des légistes , qui prirent les armes avec l'intention de supprimer les abus et de réformer les mœurs .pour accomplir cette tâche et mériter la faveur de dieu , bien des gens qui s'adonnent à la vie religieuse et aux pratiques de la dévotion s'insurgent contre le gouvernement tyrannique de leurs émirs"**